الفصل الثالث

الاباضية والخوارج

● **هل الاباضية فرقة من الخوارج ؟**

النص الأول : للأستاذ يحيى معمر المتوفى سنة ١٩٧٩ (١) :

١ ـ مدلول كلمة الخوارج :

قال : قبل أن يجيب أى باحث عن هذا السؤال ، يجب أن يحدد معنى كلمة الخوارج وما تدل عليه . يطلق بعض المؤرخين كلمة الخوارج (٢) ، على أولئك الذين اعتزلوا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عندما قبل التحكيم ورضى به ، لأنهم فى نظر هؤلاء نقضوا بيعة فى أعناقهم ، وخرجوا عن امامة مشروعة . ويطلقها فريق من المتكلمين فى أصول العقائد والديانات ، وهم يقصدون بها الخروج من الدين ، استنادا الى قول رسول الله ﷺ : « ان ناسا من أمتى يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » . وورد الحديث بروايات

---

(١) ر : (ف ـ أ) .
(٢) ر : (ف ـ ف) .

متعددة وألفاظ مختلفة . أما الفريق الثالث : فيطلقها ويقصد بها الجهاد فى سبيل الله ، استنادا الى قوله تعالى : « **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** » (النساء : ١٠٠) .

واذا أباح بعض المؤرخين لأنفسهم أن يطلقوا هذه الكلمة ـ كلمة الخوارج ـ على جميع أولئك المتمسكين بامامة على المصرين على أنها حق شرعى لا يجوز فيه التردد ، وأنه ليس من حق حتى على نفسه ، أن يشك فى امامة اجمعت عليها الأمة ، ولا أن يتساهل فيها ، أو يقبل عليها المساومة ، وأن معاوية وأتباعه فئة باغية ، يجب عليهم الرجوع الى حظيرة الامامة والأمة ، اما طوعا واما كرها بنص الكتاب فاذا رضخ على لطلب البغاة ، ووضع الحق اليقينى موضع الشك ، وتنازل عن الواجب الذى أناطته به الأمة والزمته به البيعة فان هذه البيعة تنحل من أعناقهم ، وهم بعد بالخيار .

٢ ـ الثورات فى فجر الاسلام :

لكى نوضح موقف هؤلاء القوم ـ الخوارج ـ يجب أن نستعرض حركة الثورات منذ فجر الاسلام ونضع صورته الواضحة بين أيدينا ، لتصح المقارنة ، ويكون الاستنتاج أقرب الى الحق ، وأدنى الى الدقة .

توفى رسول الله ﷺ بعدما أدى الأمانة وبلغ الرسالة .

وبايع الناس أبا بكر خليفة له ، ولكن بعد هذه المبايعة مباشرة وقعت أول ثورة (٣) فى الاسلام ، من أناس كانوا يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فكان فى الموقف الحازم الصلب الذى وقفه منهم خليفة رسول الله . رغم معارضة بعض الصحابة له . فاستتب الأمن ، واستقرت الأمور ، واستمر المسلمون فى أداء الرسالة طيلة خلافة أبى بكر وعمر . وتولى عثمان الخلافة ، فسارت الأمور ست سنوات كاملة سيرتها فى زمن الخليفتين السابقين ، فقد أصبح نقد أعمال الخليفة يجرى فى كثير من المجتمعات ولم تتم ست سنوات أخرى حتى كانت الثورة الجامحة التى ذهبت فيما ذهبت بحياة عثمان بين سمع وبصر كثير من الصحابة ، وكانت هذه هى الثورة الثانية بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وبايع المسلمون عليا بن أبى طالب أميرا للمؤمنين ، وكان أول من بايع : طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام ، ولكن ما كدت تتم البيعة حتى كان طلحة والزبير يحملان لواء الثورة مع جماعة من كبار الصحابة وقد استظهروا بأم المؤمنين عائشة ، فذهب فيمن ذهب وكانت هذه هى الثورة الثالثة فى

---

(٣) هى حركة المرتدين ، وينقسم المرتدون الى قسمين : قلة تريد العودة الى حياة الجاهلية وكثرة لا تعترف بالزكاة مع اعترافها بتعاليم الاسلام .

الاسلام . أما معاوية فاظهر أنه يطالب بدم عثمان ، وجهـــز على بن أبى طالب جيشه القوى ، وسار به نحو الشام حيـث التقى بالجند الثائر فى الموضع المعروف صفين وبدأت المعركة ولم يبق للقضاء على هذه الثورة الجامحة الا لحظت ، والتجأ الثائرون الى الحيلة والخـدعة ولجـأوا الى المكـر والمكيدة ، فرفعوا المصاحف وهم يصيحون : يا أهل العراق بيننا وبينكـم كتاب الله .

طلب الثائرون هدنة ، ودعوا الخليفة الشرعى وجيشه الى تحكيم حكمين . وقد فطن أمير المؤمنين وبعض من جيشه الى هذه الخـدعة ، وعرفوا القصـد من هـذه الهـدنة . ورضى بالتحكيم وقبل الهدنة وأمر بايقاف القتال فى الحال .

حين فعـل على ذلك ، تداعى أولئك الذين لـم يرتضوا التحكيم ، وحذروا عليا من قبوله . وهـم يرون أن معـاوية باغ لا حق له ، وأن بيعة على قـد انفسخت بموافقته عـلى الهدنة ورضائه بالتحكيم ، فلم تبق لأحـد فى أعناقهم بيعة ، وركنوا الى موقـــع يسمى حروراء فانعزلوا فيه ، ينتظرون تجدد الحوادث ، واتجاه الأمة فى قضية الخلافة ، ويمكن أن يسمى هذا الانعزال عن جيش على : بالثورة الخامسة وموقف أصحابنا (أى الاباضية) كان موقف المحايد الذى ينتظر مجرى الأمور ، وكانت الأمور تجرى بأسرع مما يتوقع لها ، فما بلغ الموعد الذى حدده الطرفان لانتهاء الهدنة حتى اجتمع الناس ،

وأعلن أبو موسى الأشعرى ـ مندوب على ـ عزل على من الخلافة ، وترك الأمر شورى بين المسلمين يختارون من يشاؤون .

وبهذه الخطوة أصبحت الأمة الاسلامية منقسمة الى ثلاث دول : دولة يرأسها معاوية وان لم يبايعه عليها أحد الى ذلك الحين ، ودولة يرأسها على بن أبى طالب بعد أن فشلت فى نظره حكومة الحكمين ، وعاد فاستمسك بالبيعة الأولى دون أن يعترف بعزل أبى موسى الأشعرى له ـ مندوبه فى قضية التحكيم ، ودولة يرأسها عبد الله بن وهب الراسبى ، بعد أن بايعه جمع كبير من الذين انفصلوا عن على عند قبول التحكيم ثم عند اعلان الحكم بعزل على عن الخلافة ، ومع كل فرقة من هذه الفرق جمع غير قليل من كبار الصحابة ، وفيهم بعض المشهود لهم بالجنة كعمار بن ياسر وحرقوص بن زهير السعدى .

بعد أن جمع الامام على جيشه ، ومن بقى تحت طاعته من الجند ، فكر فى اعادة الكرة على معاوية واخماد ثورته ومحاولة اخضاعه من جديد . ولكن بعض أصحابه أشاروا عليه بمحاربة عبد الله بن وهب الراسبى ، هذا الخليفة الجديد انذى وصل الى منصب الخلافة عن طريق البيعة وهو الطريق الشرعى للخلافة واقتنع على بصواب الرأى ، فعدل عن محاربة معاوية الى محاربة عبد الله بن وهب ، وكان أتباع عبد الله ابن وهب يعتقدون أن امامهم هو الامام الحق وأن كلا من على ـ بعد التحكيم والعزل ـ ومعاوية ثائران يجب عليهما الرجوع

الى حظيرة الامامة والأمة فأى هذه الطوائف الثائرة يمكننا أن نطلق عليه اسم الخوارج ملاحظين فيه معنى الخروج عن الاسلام ونحن مطمئنون الى صحة أحكامنا ، ومنطقية استدلالنا وعدم انسياقنا الى تيار معين من تيارات التاريخ ؟

٣ ـ المدلول البعيد لكلمة الخوارج :

كان الأمويون والشيعة يحاولون بكل ما استطاعوا أن يلصقوا هذا اللقب ـ لقب الخوارج ـ بعد أن فسر بالخروج عن الدين بهؤلاء الثائرين الذين ينادون فى اصرار وشدة بالمبادىء العادلة فى الخلافة . وكل هذه الاتجاهات تجتمع على محاربة الاتجاه الذى اتجه اليه أتباع عبد الله بن وهب الراسبى . ذلك الاتجاه العادل الذى يرى أن المسلمين متساوون فى الحقوق والواجبات « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » (الحجرات : ١٣) ، لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى » .

ان عددا من الثورات وقع منذ وفاة رسول الله ﷺ الى انتهاء خلافة الامام على بن أبى طالب فأى هذه الثورات يحق أن يطلق على القائمين بها لقب الخوارج مع ملاحظة الخروج عن الخلافة الشرعية والمروق عن الدين ؟ لتسهيل الاجابة على هذا السؤال أستطيع أن أقسم هذه الثورات الى ثلاثة أقسام :
القسم الأول : ثورة ليس لها تعليل ولا أسباب غير عدم تمكن الاسلام فى قلوب القائمين بها . وعدم ايمانهم الايمان

الصحيح بتكامل الرسالة المحمدية ، ويتجلى هـذا فى الثـورة الأولى التى ارتـد فيها فريـق وامتنع فـريق آخر عن أداء الزكاة .

القسم الثانى : ليس لها أسباب ظاهرة معقولة أما أسبابها الحقيقية الخفية ، فهى النزاع على مناصب الدولة ، من خلافة أو عمالة ، ويتمثل ذلك فى الثورة الثالثة التى قام بها طلحة والزبير وفى الثورة الرابعة التى قام بها معاوية بن أبى سفيان .

القسم الثالث : ثورة استندت الى أسباب ظاهرة يتراءى للناظر أنها معقولة ، ويتمثل ذلك فى الثورة الثانية التى قتل فيها عثمان ، وفى الثورة الخامسة التى اعتزل فيها جماعة من جيش على عليا بعد التحكيم ، وعزل أبى موسى الأشعرى له .

٤ ـ المدلـول السياسى لكلمة الخوارج :

فلو كان المقصود من كلمة الخوارج ، هو الخروج السياسى عن خليفة تمت له البيعة الشرعية ، لكان اطلاق هـذه الكلمة على طلحة أو على معاوية وأتباعه ، أو على الثائرين على عثمان أظهر وأوضح ، أمـا اذا لوحظ المعنى السـياسى مـع المعنى الدينى فانه لا يمكن اطلاق هذه الكلمة عليهم ، كمـا انه من العسير اطلاقها على المعتزلين لعلى .

والسبب فى هذا العسر أن هؤلاء الثائرين سـواء أكانوا من القسم الثانى أو من القسم الثالث انما ثاروا غير منكرين

لأصل من أصول الاسلام ، ولا مكذبين بمعلوم من الدين بالضرورة ، ومع كل طائفة منهم فريق من كبار الصحابة ، فيهم بعض المشهود لهم بالجنة .

٥ ـ أحاديث المروق والخوارج :

ان أحاديث المروق اذا صحت لا يكون المقصود منها الا أصحاب الثورة الأولى ، أولئك الذين خرجوا على خلافة أبى بكر منكرين للشريعة ، أو لأصل من أصولها فان هؤلاء يستطيع الباحث أن يطلق عليهم كلمة الخوارج وهو يقصد بهذه الكلمة معنييها السياسى والدينى وهو مطمئن لخروجهم عن خلافة مجمع عليها ، وانكارهم للاسلام جملة بعدما آمنوا به ، أو تكذيبهم بركن ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ، انكارا استحقوا به أن يحاربهم خليفة رسول الله الأول حربا لا هوادة فيها ، مصداقا لقوله عليه السلام : « لئن أدركتهم اقتلوهم قتل ثمود » ان صح الحديث . وقد قتلهم خليفة رسول الله ﷺ قتل ثمود تحقيقا لخبره عليه السلام .

وكما يستانس بحديث المروق فى الرواية التى تقول : « سيخرج أو يمرق » ، فان استعمال السين يدل على قرب الخروج . ويظهر من سياق الحوادث أن هذه الأحاديث التى تتحدث عن الخروج ، لم تكن معروفة عند حدوث الثورات الأولى ، والا فكيف أمكن أن لا تدور على الألسنة وان

لا يوصف بها الخارجون عن الخلافة فى زمن أبى بكر وعثمان وعلى ، لا الخارجون عن الدين فى زمن الصديق ؟ لماذا تبقى محفوظة لا يستفيد منها أنصار الخلافة أو خصومها فى أربع ثورات جامحة ذهب ضحيتها عدد غير قليل من المسلمين الأبطال . انها وضعت بعد ذلك قصدا للتشنيع على أهل النهروان . ولحمل على على قتالهم والقضاء عليهم ، وخوفا من أن يتحرج على من دمائهم ، ويتردد فى قتالهم ، ويفكر تفكيرا منطقيا فى أنه قد يكون لهؤلاء حق ولرأيهم سند ، ولا يمكن القضاء على هذه الآراء الا بالقضاء على أصحابها ، فلو تردد على فى هذا الأمر وتحرز من اراقة الدماء ، فان كل شىء سوف يضيع ، ولذلك فيجب أن يحمل بشتى الوسائل والطرق على اتخاذ هذه الخطوة الحازمة الحاسمة ، وقد استطاعوا أن يقنعوه ، فاقتنع برأى الأشعث ، واتخذ هذه الخطوة ، ونفذ فكرة المناجزة ، فقضى على أهل النهروان ، ولكنه لم يستطع أن يقضى على الفكرة التى دعوا اليها ، هذه الفكرة التى تسربت بما فيها من صدق وصراحة وواقعية الى كثير من العقول ، حتى أصبحت مبدأ يناضل عنه معتنقوه بصبر وشجاعة وثبات .

* * *

● خـلاصة البحث :

ان كلمة الخوارج ، أطلقها بعض المؤرخين عـلى أتباع عبد الله بن وهـب الراسبى اطلاقـا تاريخيا وأدبيـ ، بحيث لا تنصرف الى غيرهم ، وليس فى هذا كبير بحث ، فان اطلاق اسـم على مجموعة من النـاس ليس بذى أهمية اذا كان هـذا الاطلاق مجرد تسمية . أما اذا روعى فيه مدلول دينى فانـه يحسن بنا أن نتريث قبل أن نطلق هذا الحكم الرهيب ، الذى يسلطه التاريخ المغرض على رؤوس بعض الطوائف الاسـلامية فى قساوة وغلظة فى الحين الذى نعترف فيه أن هذه الطوائف تـؤمن برسالة محمد وبتكاملها وبما جـاء فيها وتستند فى آرائها ونظرياتها الى كتاب الله وسـنة رسول الله ﷺ . (نقلا عن كتابه : الاباضـية فى موكـب التـاريخ ـ الحقة الأولى ص : ١٩ ـ ٣٢) .

* * *

الخـوارج فى نظـر الاباضـية

يقول العلامة أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجـلانى ما يلى (١) : وزلة الخوارج نافع بن الأزرق (٢) وذويه حين تأولوا قول الله فى « **وان أطعتموهم انكم لمشركون** » (الأنعام : ١٢١) . فأثبتوا الشرك لأهل التوحيد حين أتوا من المعاصى ما أتوا ولو أصغرها . وأما المـارقة (٣) فقـد زعموا أن من عصى الله تعالى ولو فى صغير من الذنوب أو كبير أشرك بالله العظيم ، وتأولوا قول الله عز وجل « **وان أطعتموهم انكـم لمشركـون** » .

فقضوا بالاسم على جميع من عصى الله عـز وجل أنـه مشرك ، وعقبوا بالأحكام ، فاستحلوا قتل الرجال ، وأخذ الأموال والسبى للعيال ، فحسبهم قول رسول الله ﷺ : « ان ناسـا من أمتى يمرقون من الدين مروق السـهم مـن الرميـة

---

(١) توفى ٥٧٠ هـ ، ر : (ف ـ أ) يعد من أعلام الفكر الاباضى .

(٢) ر : (ف ـ أ) .

(٣) ر : (ف ـ ف) .

فتنظر فى النصل فلا ترى شيئا ، وتنظر فى القدح فلا ترى شيئا ، وتتمارى فى الفوق » (٤) .

فليس فى أمة محمد ﷺ أشبه شىء بهذه الرواية منهم ، لأنهم عكسوا الشريعة ، قلبوها ظهرا لبطن ، وبدلوا الأسماء والأحكام ، لأن المسلمين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يعصون ولا تجرى عليهم أحكام المشركين ، فليت شعرى فيمن نزلت الحدود فى المسلمين أو فى المشركين ؟ فأبطلوا الرجم والجلد والقطع . كأنهم ليسوا من أمة أحمد عليه السلام .

نقلا عن كتابه : (الدليل والبرهان ، الجزء الأول ص ١٥)

* * *

● **من هم الخوارج فى نظر الاباضية ؟**

يرى الاباضية أن اطلاق كلمة الخوارج على فرقة من فرق الاسلام لا يلاحظ فيه المعنى السياسى الثورى ، سواء أكانت هذه الثورة لأسباب شرعية عندهم أو لأسباب غير شرعية ، ولذلك فهم لم يطلقوا هذه الكلمة على قتلة عثمان ، ولا على طلحة والزبير وأتباعهما ، ولا على معاوية وجيشه ، ولا على ابن فندين (٥) والذين أنكروا معه امامة عبد الوهاب (٦)

---

(٤) النصل حديدة السهم ، القدح الدهم الذى فيه الحديدة ، الفوق رأس السهم الذى يوضع فيه الوتر .

(٥) ر : (ف ـ أ) .

(٦) ر : (ف ـ أ) .

الرستمى وانما كل ما يلاحظونه انما هو المعنى الدينى الذى يتضمنه حديث المروق والخروج عن الاسلام يكون : اما بانكار الثابت القطعى من أحكامه ، أو بالعمل بما يخالف المقطوع به من نصوص أحكام الاسلام ديانة ، فيكون هذا العمل فى قوة الانكار والرد . واقرب الفرق الاسلامية الى هذا المعنى هم الأزارقة (٧) ومن ذهب من مذهبهم ممن يستحل دماء المسلمين وأموالهم ، وسبى نسائهم وأطفالهم .

على يحيى معمر

نقلا عن كتابه : (الاباضية فى موكب التاريخ ص ٣٣ ـ ٣٥)

* * *

● **عرض وتحليل هذه النصوص وتقييمها :**

ان النصوص التى كتبها على يحيى معمر حول موضوع الخوارج والاباضية ، قد تميزت بالعمق الفكرى والمنهجية العلمية ، فلقد اعتمد فيها على الاستقراء (٨) والقياس (٨) التاريخى شارحا ومبينا وناقدا ، مدلول كلمة الخوارج من حيث مضمونها الدينى والسياسى ، وتطورها التاريخى مستعينا فى ذلك بالوقائع التاريخية وحقائقها ، من عهد الرسول ﷺ الى ظهور الثورة الخامسة التى رفضت مؤامرة التحكيم .

---

(٧) ر : (ف ـ ف) .

(٨) ر : (ف ـ م) .

فلقد ألم بالحوادث الماما كافيا مع النقد والربط بين العلل والمعلولات .

وبدأ بالثورة الأولى التى قام بها المرتدون ، ثم بالثورة الثانية التى قتل فيها عثمان ، ثم بالثورة الثالثة التى قام بها طلحة والزبير ، ثم بالثورة الرابعة التى قام بها معاوية وأخيرا الثورة الخامسة التى عين فيها عبد الله بن وهب الراسبى امام المسلمين بعد مؤامرة التحكيم ، فتوصل الى النتيجة الحتمية التى تفرض بداهتها على كل منصف وباحث نزيه يريد الحقيقة العلمية ، أن مدلول كلمة الخوارج لا تنطبق على أنصار الثورة الخامسة سواء من الجانب الدينى أو السياسى . وهذا الاستنتاج شبيه بالاستنتاج الرياضى التى تلزم فيه النتائج عن المبادىء العقلية (٩) اضطرارا بالضرورة والا وقعنا فى تناقض .

وهذا الاستدلال المنطقى قائم على الحدس (١٠) العقلى الواضح الذى لا يمكن أن يغلط فيه الانسان كمبادىء العقل التى تفرض نفسها فرضا . واذا رفضناها وقعنا فى تناقض مع قوانين المنطق وحقائق التاريخ (١١) .

أما العلامة أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلانى ، فقد جعل حدا فاصلا بين الدلالتين المتناقضتين من حيث

---

(٩) ر : (ف ـ م) .
(١٠) (١١) ر : (ف ـ م) .

العقيدة (١٢) ، الحد الأول : أن الأزارقة أثبتوا وأقروا الشرك للمسلمين العصاة واستحلوا دماءهم وأموالهم وهذا الأصل عندهم يخالف أحكام الاسلام . فخرجوا على الاسلام فهو خروج بالعقيدة والعمل . أما الحد الثانى فهم الاباضية لا يستحلون دماء وأموال عصاة المسلمين وأن كبائرهم (١٣) : كالزنا وشرب الخمر ، لا تخرجهم من ملة الاسلام فهم موحدون أى يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

فبعد هذا العرض والبيان الواضح يتبين لنا بكل جلاء أن الاباضية ليسوا من الخوارج .

* * *

(١٢) ر : (ف ـ م) .
(١٣) ر : (ف ـ م) .

obeikandl.com